الأديان من أجل السلام، الجمعيّة التاسعة، الجلسة العامّة الأولى
فيينّا، 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 2013

إستقبال الآخر- رؤية للسلام مشتركة بين الأديان

ماريّا فوتشه
رئيسة حركة الفوكولاري

"إستقبال الآخر- رؤية للسلام مشتركة بين الأديان". إنّه موضوع بالغ الأهميّة في عالم اليوم، حيث الحروب، والصراعات، والمواجهات بسبب الانقسامات العرقيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة؛ والإرهاب.

إنّ تزايد موجات الهجرة هرباً من أوضاع انعدام الأمان، والقمع والفقر، وبحثاً عن مستقبل أفضل، يشكّل إحدى الظواهر الاجتماعيّة التي تأخذ حيّزاً كبيراً من المناقشات حاليّاً. فالمأساة الأخيرة التي جرت أحداثها في البحر قبالة شواطئ لامبيدوزا في إيطاليا هزّت الرأي العام بشأن مساهمة الاتّحاد الأوروبّي في مشكلة الهجرة.

ومع ذلك، لا يجب أن تُلهينا تلك الأوضاع عن تمييز علامات الرجاء. فعديدة هي المبادرات التي يقوم بها الأفراد والمؤسّسات بهدف بناء أسس مشتركة من أجل التعايش في وئام.

ويبرز الحوار ما بين الأديان وما بين الثقافات كوسيلة هامّة للوصول إلى هذه الغاية، من دون أن ننسى أنّ البحث عن السلام يجب أن يبدأ أوّلاً في القلوب، حيث تولد المشاعر التي بإمكانها أن تغذّي السلام أو تخنقه.

في الواقع، حين دعا البابا فرنسيس المؤمنين إلى يوم صوم وصلاة من أجل السلام في سوريا، وفي الشرق الوسط، وفي العالم أجمع، أضاف قائلاً: *"من أجل السلام في قلوبنا أيضاً، لأنّ السلام يبدأ في القلب!"* [1]

نعم، الحاجة ملحّة لأن ترتدّ القلوب. وهنا يقع الدور المصيريّ للأديان، إذ عليها أن تُقدّم من عمق أعماقها القوّة الروحيّة لقيادة البشريّة نحو التضامن والسلام؛ عليها أن تحقّق إنجازات قادرة على تجديد العلاقات لا على المستوى الفرديّ فحسب بل بين أشخاص مختلفين من حيث الأجناس والجنسيّة والثقافة أيضاً؛ فتساهم بهذه الطريقة في بناء تعايش مسالم يمكن تأمينه إذا تعلّم الرجال والنساء معاملة بعضهم البعض كإخوة وأخوات.

رؤية الأخوّة هذه ليست بالفكرة الجديدة. فشخصيّات روحيّة كبيرة من مختلف أنحاء المعمورة، مثل المهاتما غاندي أو مارتين لوثر كنغ كانوا قد أكّدوا بأنّ هذه الأخوّة مطبوعة في قلب كلّ كائن بشريّ.

قال المهاتما غاندي: *" من خلال تحقيق الحرّيّة في الهند، آمل أن أحقّق رسالة الأخوّة بين البشر وأن أحملها إلى الأمام"*. [2]

مارتن لوثر كنغ، في حديثه الشهير "I have a dream" (لديّ حلم) عبّر بصرخة عن أمله بأن *يأتي يوم يجلس فيه أبناء الذين كانوا عبيداً في ما مضى مع أبناء الذين كانوا يمتلكون العبيد إلى مائدة الأخوّة"*. [3]

إنّ كيارا لوبيك، مؤسّسة حركة الفوكولاري التي أمثّلها اليوم، والتي دعمت كثيراً *"الأديان من أجل السلام"*، بذلت حياتها كلّها من أجل بناء وحدة العائلة البشريّة، في غنى تنوّع أفرادها، وجذبت العديد من الأشخاص في العالم أجمع كي يلتزموا بهذا الهدف.

وقد استوحت كيارا هذا الإلهام من صلاة يسوع الذي، قبل مماته، طلب من الله: *"ليكونوا بأجمعهم واحداً"* (يوحنّا 17، 21).

ووفق تعليم كيارا وعلى مثالها، تعوّدنا منذ بداية الحركة أن نرى في كلّ شخص نلتقيه، في الآخر المختلف عنّي، رفيقاً في السفر، وأخاً من دونه لا يمكننا أن نمثل أمام الله.

تدعونا كيارا قبل كلّ شيء لأن تكون لدينا "عين بسيطة"، لأن ننظر إلى البشريّة بأجمعها من منظار الوحدة. فقد كتبت قائلة: *"نوجّه نظرنا قبل كلّ شيء نحو الآب الواحد لأبناء عديدين. ومن ثمّ، لننظر إلى البشر جميعهم كأبناء لآب واحد. (...)لنَثِقْ بشكلٍ مستمرٍ(...) إلى الأخوّة الشاملة كأبناء للآب الواحد: الله"*. [4]

لا تغرس محبّة القريب إذاً جذورها في نزعة غيريّة معيّنة، بل في كوننا جميعاً أبناء الآب الواحد. وإذا كنّا أبناء الآب الواحد، فنحن إخوة في ما بيننا.

نحن نرى في كلّ إنسان ابناً لله - وبالنسبة إلينا نحن المسيحيّين- نرى بشكل خاصّ فيه ابن الله الكلمة: يسوع ذاته، الذي يمثل أمامنا في القريب ويطلب منّا بأنّ نحبّه بشكل حسّي، في الأمور الصغيرة اليوميّة، في كلّ لحظة حاضرة من حياتنا العاديّة، كما في الأمور الكبيرة والعظيمة، مثل الكارثة التي أصابت الفيليبّين أخيراً.

في ما يلي إختباران أرويهما لكم:

في مدينة صغيرة جنوبيّ فييّنا تعدّ من بين سكّانها 25% من المهاجرين، انتقلت إليها عائلة منتمية إلى الحركة لديها ابنان مراهقان، اندلعت ذات يوم اشتباكات عنيفة بين الشباب لأسباب عرقيّة. ازداد الخوف وعدم الثقة بين الناس، وفكّر الابنان بضرورة شراء بندقيّة للدفاع عن نفسيْهما. في المقابل، قام الأهل، مع آخرين يشاركونهم روح الأخوّة، بنشاطات عديدة من أجل تعزيز التعايش الأخويّ، بمشاركة من مكتب الهجرة في المدينة أيضاً. ولكن في اللحظة التي بدأوا العمل معاً مسيحيّين ومسلمين، أضرم شاب مسلم النار في جناح من الكاتدرائيّة التي هي رمز المدينة. ومن دون أن يستسلم هؤلاء لليأس، نظّموا معاً فترة صلاة مشتركة بين الأديان، ونشاطاً خيريّاً لجمع الأموال من أجل إعادة بناء الجناح: حقّاً كان الخشوع وتمجيد الله ملموسين. فقد أثّرت الأخوّة في القلوب وساهم الجميع في النشاط.

في سوريا، في ظلّ احتدام الحرب ونموّ الكراهية، تترك عائلات عديدة البلاد بحثاً عن عمل وعن مستقبل أفضل. إلاّ أنّ إشارات السلام والرجاء لا تنقص.

التزمت مصمّمة أزياء شابّة بتنفيذ مشاريع تعليم الخياطة للنساء المهجّرات، بهدف مساعدتهنّ على إيجاد فرصة عمل لإعالة عائلاتهنّ. سنة 2012 تسّجلت في دورة الخياطة 45 امرأة ينتمين إلى كلّ الطوائف الدينيّة الموجودة في البلد (كالسنّيّة، والشيعيّة، والمسيحيّة، والعلويّة والدرزيّة) ومن كلّ التيّارات السياسيّة. كان التوتّر بينهنّ واضحاً للعيان: وكنّ يرفضن حتّى التواجد في القاعة ذاتها. وتلك الصبيّة أيضاً كانت تجد صعوبة في أن تبقى دائماً في المحبّة الحقيقيّة، ولكنّها قرأت في الإنجيل أنّ الله *"يُشرق شمسه على الأخيار وعلى الأشرار"*، وبأنّه يحبّنا من دون تمييز، وبالتالي عليها هي أيضاً ألاّ تميّز بين الأشخاص. هذا ما فعلته، ومع مرور الأسابيع بدأت النساء يتكلّمن مع بعضهنّ البعض، ويقبلن اختلافاتهنّ ويتغلّبن على الانقسامات الآخذة في الازدياد بوضوح في الخارج. ورحن يشاركن بالهموم والآلام، ويساعدنَ بعضهنّ ماليّاً أيضاً لسدّ حاجات الواحدة أو الأخرى. ويوم عيد الفطر حضّرت الشابّات المسيحيّات حفلة صغيرة من أجل المسلمات، والمسلمات فعلن الشيء ذاته بمناسبة عيد الميلاد.

نريد نحن أيضاً أن نكون في العالم، حيثما تواجدنا أو قد نتواجد، علامة ملموسة لمحبّة الله، محاولين حمل المحبّة حيث تكون مفقودة، والتغلّب على كلّ انقسام، وكلّ نقص في الوحدة يمزّق الجماعة البشريّة، من أجل بناء جسور الوحدة مع الجميع وفي كلّ مكان.

توجّهت يوماً كيارا إلى الربّ قائلة: *"أعطِني جميع من تُشقيهم العزلة. [...] أعطِني ربّي أن أكون في العالم سرّ حبّك المتجسّد، سرّ كيانك المحِبّ: أن أكون ذراعيك اللتيْن تضمّان عزلة العالم كلّها وتحرقانها في نار الحبّ"*[5].

فقط بشغف كشغفها يمكننا أن نأمل بأن نجعل من كلّ رجال ونساء العالم عائلة واحدة.

شكراً.

---

[1] البابا فرنسيس، مقابلة عامّة بتاريخ 4 أيلول/سبتمبر 2013

[2] أنظر م. ك. غاندي، *قديمة مثل الجبال*، ميلانو 1970، ص. 162

[3] مارتن لوثر كنغ، *حديث عشيّة الميلاد 1967*، أتلانتا، ذُكر في *جبهة الضمير*، تورينو 1968.

[4] كيارا لوبيك، *كتابات روحيّة/1، جاذبيّة العصر الحديث، (بالإيطاليّة)*، روما 1978، ص. 130. أنظر أيضاً كيارا لوبيك، *كتابات روحيّة/4، الله قريب (بالإيطاليّة)*، روما 1995، ص. 145

[5] كيارا لوبيك، *كتاب تأمّلات*، لبنان ص. 19.